إستراتيجيات منظمة هاشومير (Hashomer) الصهيونية الأمنية في فلسطين 1909-1918

عبد الرحمن حلمي الفرا*

*باحث دكتوراه التاريخ والعلوم السياسية – جامعة سكاريا التركية.

ملخص: رغم جهود الدولة العثمانية للحفاظ على فلسطين إلا أن الصهاينة استطاعوا تدشين بنية تحتية قوية لهم في مختلف المجالات، وكان مجال الأمن والحراسة وحماية ممتلكات الاستيطان الصهيوني من أهم البنى التحتية التي اعتنى بها الصهاينة، وتُعَدّ منظمة هاشومير التي أُنشئَت في فلسطين سنة 1909م أهم وأكبر منظمة حراسة صهيونية في هذا السياق. تتناول الدراسة هذه المنظمة وتتبّع طبيعة إستراتيجياتها منذ إنشائها حتى انتهاء الحرب العالمية الأولى، وتهتمّ بالوقوف على أهدافها غير المُعلنة من إنشائها المرتبطة بسعي اليهود إلى امتلاك قوة صهيونية خاصة؛ من أجل أداء أدوار تخدم فكرة إنشاء دولة قومية لهم في فلسطين.

الكلمات المفتاحية: منظمة هاشومير، فلسطين، الاستيطان الصهيوني.

Strategies of the Zionist Security Organization Hashomer in Palestine 1909-1918

ABDELRAHMAN ALFARRA*

ORCID NO: 0000-0002-2871-3059

*PhD Student, Social Sciences Institute - Sakarya University, Türkiye.

ABSTRACT: *At the end of the nineteenth century, a number of Zionist intellectual current leaders directed the Jews of the world to immigrate to Palestine. Despite the Ottoman efforts to preserve Palestine, the Zionists were able to build a strong infrastructure in various fields. One of the most important infrastructures that the Zionists took care of building was the infrastructure related to security and guarding. The stated goals of the armed organizations that were being formed were related to the work of guarding and protecting the property of the Zionist settlement. In this context, Hashomer comes the most important and largest Zionist guard organization established in Palestine in 1909. This organization is studied and the nature of its strategies is traced from its inception until the end of the First World War. The unannounced goals of its establishment, which are related to the Jews' quest to possess a special Zionist power, are also examined in order to play roles that serve the idea of establishing a nation-state for the Jews in Palestine.*

Keywords: Hashomer Organization, Palestine, Zionist settlement.

رؤيـــة تركيـــة
2023-(3/12)
193 - 220

DOI:10.36360/1560-012-003-010

مقدّمة:

تنامى الفكر الصهيوني في أوساط التجمعات اليهودية في أوروبا منذ أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، حيث ظهر مفكرون صهاينة أمثال: يهودا القلعي (1798-1878)، وموسى حيس (1812-1875)، وآحاد هعام (1856-1927)؛ يدعون إلى التحرر الذاتي وإقامة دولة خاصة باليهود. وقد استفاد دعاة الصهيونية وروادها أمثال: تيودور هرتزل (1860-1904)، و زئيف جابوتينسكي (1880-1940) من ذلك الفكر، ومن الظروف الصعبة وحالة التمييز العرقي التي كان يتعرض لها يهود أوروبا، وعُرفت تلك الفترة باسم «المشكلة اليهودية». فجرى المُضيّ في مساعي عملية البحث عن أرض يجمعون فيها اليهود من مختلف دول العالم من أجل إقامة الدولة التي يحلمون بها.[1]

كانت أرض فلسطين من أهم الخيارات التي سعى عدد من الصهاينة من أجل جعلها مقصدًا ليهود العالم، حيث تحظى فلسطين بأهمية دينية وتاريخية، إلى جانب ميزات موقعها الجغرافي ومكانتها السياسية. كما أن الصهاينة كانوا يعتقدون أنّ بإمكانهم الحصول على موافقة للاستحواذ على فلسطين من السلطات العثمانية التي كانت تعيش في حالة من الضعف والفوضى.[2] استفاد الصهاينة من تغيير قناعات القوى الاستعمارية تجاه مصير الدولة العثمانية عقب تنامي حالة الضعف والفوضى التي عُرِفت في تلك الفترة باسم «المسألة الشرقية».[3]

عمل الصهاينة على تطوير علاقاتهم بالقوى الاستعمارية، وعلى رأسها بريطانيا التي طمحت للاستحواذ على مزيد من الممتلكات العثمانية عقب احتلالها مصر سنة 1882.[4] قام الصهاينة بحشد طاقاتهم في مؤتمر الصهيونية الأول سنة 1897 من أجل تقديم رؤية لحل «المشكلة اليهودية» وفقًا لصيغة تقبل بها الدول الاستعمارية، وتضمن لهم إقامة دولة يهودية في فلسطين. نتج عن المؤتمر الإعلان عن تأسيس المنظمة الصهيونية، والتحرك بشكل علني من أجل دعم هجرة اليهود إلى فلسطين واستيطانهم فيها، إلى جانب العمل على تجهيز البنى التحتية اللازمة لإقامة الدولة اليهودية عندما تكون الظروف الدولية سانحة.[5]

تلاقت المصالح الصهيونية مع مصالح الدول الاستعمارية التي كانت تتطلع إلى فلسطين وعموم الأراضي العثمانية. ومن أجل ذلك سخّرت الدول الغربية جميع الإمكانات اللازمة لدعم الأنشطة اليهودية والصهيونية المختلفة في فلسطين. وهذا جعل قناصل الدول الأوروبية في فلسطين يتدخلون في الشؤون المحلية لمصلحة اليهود؛ بحجة حماية مصالح رعاياهم.[6] كما جرى منح يهود فلسطين امتيازات خاصة وفقًا

للاتفاقيات التي كانت تفرضها الدول الاستعمارية على الدولة العثمانية.[7] وجاء الدعم الأوروبي الأكبر للمشروع الصهيوني عبر دعم عمليات الهجرة والاستيطان التي نظمها الصهاينة.[8] إلى جانب ذلك جرى دعم الاستيطان اليهودي من خلال المساعدة في توفير مقومات الاستيطان، مثل شراء الأراضي بطرق ملتوية، وإقامة المدارس الخاصة، وتوفير الحماية القانونية اللازمة.[9]

وعمليًّا تمكّن الصهاينة من تنفيذ عمليات الهجرة، وبناء العديد من المستوطنات في فلسطين خلال الفترة ما بين عامي 1882–1918م.[10] بل إنهم ابتدعوا أساليب مختلفة من أجل الاستيلاء على الأراضي في فلسطين، كان من أبرزها: الشراء غير المباشر بواسطة السماسرة، استغلال فساد القوانين والقضاء في الضغط على ملّاك الأراضي للاضطرار لبيعها، ووضع اليد على الأراضي الغائب أصحابها باستخدام القوة.[11] وشُكِّلت إدارة مركزية لمتابعة الشؤون العامة للتجمعات اليهودية الاستيطانية في فلسطين عُرفت باسم الـ Yishuv (يشوف).[12]

بالرغم من اعتناء قسم من يهود كل مستوطنة بالأعمال الأمنية إلا أنه لم تتشكل خلال فترة قدوم المهاجرين اليهود في الموجة الأولى ما بين سنوات 1882–1903 أيّ منظمات حراسة أو أمن يهودية خاصة، بل اقتصر الأمر على اكتفاء مجموعات صغيرة داخل كل مستوطنة بالاهتمام بالمشكلات الأمنية. وكان المستوطنون مضطرين للجوء إلى الحرّاس العرب والشركس من أجل الحراسة الليلية.[13] ومع ذلك كانت قد جرت أكثر من محاولة لتأسيس تشكيلات تختص بالأمن أو الحراسة خلال بدايات الهجرة اليهودية، إلا أنها لم تستمر.[14]

دفع تطوّر منظومة البنى التحتية اليهودية في فلسطين إلى جانب توافد أفراد موجة الهجرة اليهودية الثانية ما بين سنوات 1904–1914؛ منظمة مثل بيلو الصهيونية إلى التوجه نحو العمل الأمني وأنشطة الحماية منذ سنة 1904.[15] لم تتمكن بيلو من تشكيل جسم أمني مستقل، كما أنها لم تنشط بوصفها منظمة في إطار إقليمي يتعدى حدود المستوطنات التي يعمل فيها أعضاء المنظمة.[16] فيما انتزعت مجموعة من القادة الصهاينة قرارًا سياسيًّا من المؤتمر الصهيوني الثامن سنة 1907 من أجل تأسيس منظمة سرية تختصّ بالعمل الأمني في فلسطين.[17] عُرفت المنظمة باسم بار جيورا (Bar Giora) ومثَّلت أولّ تجمّع مسلّح للحرّاس والعمّال الصهاينة في فلسطين من دون أن تأخذ أيّ شرعية من الإدارة العثمانية.[18] وبالرغم مما أنجزته بار جيورا في تأسيس نواة للعمل الأمني والعسكري اليهودي إلا أن عددًا من المشكلات التي ظهرت في مجال الحراسة بالذات أدت إلى توجه قيادة المنظمة

لإنشاء منظمة مسلحة متخصصة في مجال الحراس.[19] مهدت تلك الظروف الطريق لتأسيس منظمة هاشومير لتمثل نقابة عامة للحراسة اليهودية في فلسطين، ولكي يتمكن الصهاينة من (مأسسة) عمل الحراسة بشكل مُعلن، فيتمكنوا من تنفيذ مختلف الأنشطة السرية والمسلحة تحت هذا العمل من دون إثارة المشكلات.[20]

أوّلًا: تأسيس منظمة هاشومير:

عقد عدد من القيادات الصهيونية اجتماعًا في نيسان 1909 بمستوطنة مسحة (Mas- Ha) بالجليل الأعلى من أجل مناقشة تأسيس منظمة هاشومير. تكوّن المجتمعون من قيادات حزب عمال صهيون(Zion) (Poale الصهيوني، وعدد من مؤسسي منظمة بار جيورا، أمثال: إسرائيل شوحط (Israel Shochat) وألكسندر زيد (Alexander Zaid)، و إسرائيل جلعادي(Yisrael Giladi) ، و إسحاق بن تسفي (Yitzhak Ben-Zvi) .[21]

حافظت هاشومير على بقاء القيادة التأسيسية في إدارة العمل، ولم يكن ذلك في بداية العمل فقط، بل انتُخِبت القيادة نفسها لعدة مرات من أجل إدارة عمل المنظمة. مع مرور الوقت برزت الحاجة إلى توزيع المهام على أعضاء قيادة العمل في هاشومير؛ لذلك جرى توزيع مسؤوليات العمل على النحو الآتي:[22]

1- إسرائيل شوحط: يتولى مسؤولية التوجيه الأيديولوجي، والتمثيل الخارجي.

2- إسحاق بن تسفي: يتولى متابعة النشاطات الحزبية، وحل الخلافات الداخلية.

3- إسرائيل جلعادي و بريتوجولي(Bretogoli): متابعة الشؤون الفنية والقضايا الداخلية.

قدمت هاشومير نفسها على أنها تنظيم قُطْري يتحمّل مسؤولية الأمن عن عدد من المستوطنات، حيث ضمّت المنظمة عددًا من اليهود العاملين في أكثر من مستوطنة يهودية، وبخاصةً الذين جمعوا ما بين العمل في مجال الاستيطان أو مجال الحراسة والأمن.[23] وتولت المنظمة منذ إنشائها مسؤولية الحراسة والأمن في مستوطنات الجليل، ثم بدأت في التوسع شيئًا فشيئًا. بدأت أعمال المنظمة بنحو 30 عُنصرًا كانوا يتلقون أجرة مالية مُقابل عملهم.[24]

حرصت هاشومير على التعامل مع عمل الحراسة عمومًا بشكل مهني لدرجة تجنبت التدخل الواضح في التجاذبات السياسية داخل الـ(يشوف). كما تجنّبت المنظمة الانضمام الصريح إلى أحد الأحزاب السياسية اليهودية كي لا تقع تحت تأثير المصالح

الشخصية أو السياسية. وقد ساعد هذا السلوك المنظمة في التركيز على الإستراتيجيات الأمنية اللازمة لأعمالها المختلفة التي من شأنها خدمة الأهداف الصهيونية.[25]

> عقب انتهاء مؤتمر منظمة هاشومير الثامن مباشرة بدأت المنظمة بتجنيد أعضاء جدد من المستوطنين، وعملت على تدريبهم، وتحسين ظروف أعضائها، ورفع أجورهم

أقرّت هاشومير بوصفها منظمة قُطْرية ثلاث إستراتيجيات رئيسة، هي: الهجوم، والحراسة الصهيونية في الحقول وفي مستوطنات الجليل، والعمل الزراعي عبر إقامة مراكز استيطان في أماكن مهمة. راعت المنظمة في وضع إستراتيجياتها التمهيد للانتشار في مختلف أماكن الاستيطان اليهودي في فلسطين باعتبارها المسؤولة عن حماية كل مركز استيطاني. وقد مهّد أسلوب تفكير هاشومير الطريق لإقامة المنظمات العسكرية الصهيونية كما سيظهر لاحقًا.[26]

كما حددت هاشومير أهدافًا تشغيلية من أجل العمل على تحقيقها، كان من أبرزها:

1 – حماية المستوطنات الصهيونية.

2 – انتزاع مهام الحراسة والأمن من السكان المحليين (العرب والشركس).

3 – إعداد حرّاس أَكْفَاء من الصهاينة.

4 – تهيئة الظروف لمهامّ عمل المنظمة.

5 – التدريب على رُكوب الخيل.

6 – التدريب على استخدام السلاح.

7 – الاستمرار في الأعمال الزراعية والاستيطانية.[27]

جنّدت هاشومير عناصرها من المستوطنين الصهاينة، واهتمّت بتدريبهم وتطوير قدراتهم في مجالات العمل الأمني. كما سعت المنظمة إلى تحسين ظروف أعضائها، ورفع أجورهم في ظل صعوبات الحياة المختلفة التي كانوا يتعرضون لها. ولتحقيق ذلك أنشأت هاشومير هيئات تسهم في تحسين ظروف أعضائها، مثل صندوق القروض وصندوق الضمانات،[28] ورأت المنظمة أن جهودها الداخلية إلى جانب عملها في الحراسة سيساعد في إخراج السكان المحليين من المستوطنات الصهيونية بشكل كامل.[29]

عملت هاشومير على إحاطة معظم المستوطنات الصغيرة في منطقة الجليل بجدار أمني بحجة ضبط أعمال الحراسة وحماية المستوطنات من الداخل والخارج. جرى تصميم الجدار وفقًا لعدة معطيات أمنية متعلقة بالأبعاد والمتانة ونقاط الحراسة من أجل تسهيل الأعمال الأمنية ورفع أداء الحراسة.[30] فيما ظلَّت الحراسة بحد ذاتها بالنسبة لقادة هاشومير وسيلة لا هدفًا. وقد كشف إسرائيل شوحط عن حقيقة برنامج عمل هاشومير عندما ذكر ذلك قائلًا: «كان برنامج عمل هاشومير داخليًّا فقط. كانت الأهداف المعلنة للمنظمة من أجل تضليل الحكومة التركية... لم تطمح هاشومير إلى إكساب أعضائها مهنة الحراسة فحسب. أرادت المنظمة تحقيق عدة أهداف: الدخول في الـ (يشوف) بكل طبقاته وبثّ روح الدفاع الذاتي، وتطوير القوة الذاتية، ورفع مكانة الـ(يشوف) في عيون العرب».[31]

بشكل عام حافظت هاشومير على أهدافها وإستراتيجيتها المعتمدة منذ التأسيس رغم كل التحديات الداخلية والخارجية التي تعرّضت لها. كما استمرّت المنظمة في ممارسة أنشطتها ذاتها حتى اندلاع الحرب العالمية الأولى؛ إذ اضطرت لإحداث تغيير وتطوير في طبيعة أنشطتها؛ بُغية التعامل مع أزمات الحرب. وكان أكبر تحديات المنظمة القدرة على التعامل مع السلطات العثمانية، وهذا ما نجحت فيه في مطلع الحرب، ولكن سرعان ما ساءت العلاقة إلى درجة أصبحت فيها السلطات العثمانية تطارد عناصر هاشومير.[32]

ثانيًا: إستراتيجيات هاشومير خلال المرحلة التأسيسية 1909-1914م:

1- إستراتيجية تدريب العناصر وتسليحهم:

اهتمّت قيادة هاشومير في المرحلة التأسيسية باتباع إستراتيجية تُركّز من خلالها على تطوير أداء عناصرها، على أن تراعي الهدوء في تنفيذ الأنشطة الأمنية. ولاسيّما أن تدريب عناصر هاشومير جيدًا على العمل الأمني الهادئ وعمل الحراسة المحترف- يجعلهم من وجهة نظر المستوطنين أفضل من الحراس العرب والشركس. وقد راعت المنظمة خلال تدريب عناصرها أن توضح لهم أهمية التخفي وبخاصة خلال ممارسة عمل المراقبة. نجح عناصر هاشومير بفضل التخفي الجيد في كشف تحركات السكّان المحليين الذين لم يلاحظوا وجود الحراس الصهاينة أصلًا[33].

استفادت هاشومير في تطبيق إستراتيجيتها من أعضاء المنظمة الصهيونية القادمين من خارج فلسطين؛ إذ كانوا يحملون خبرات أمنية وعسكرية. حرصت هاشومير على

توظيف طاقات الصهاينة الوافدين بالرغم من قلة أعدادهم، وذلك عبر تنظيم دورات في المجال الأمني والعسكري. اهتمّ عدد جيد من أعضاء المنظمة الصهيونية خارج فلسطين بفكر هاشومير، فقاموا بجمع كل معلومة أو خبرة في المجال الأمني. أدى نجاح الصهاينة في مضاعفة التجارب الأمنية المختلفة إلى خلق قواعد عمل في مجال الأمن والحراسة الصهيونية، وهذا ساعد في تدريب الأعضاء الجدد.[34]

أشرف إسحاق بن تسفي على تدريب عناصر هاشومير على استخدام السلاح. وبالتزامن مع التدريب على السلاح كان يجري أخذ العناصر إلى جولة في المستوطنة ليقوموا بتفتيش أيّ ثغرة. وخلال جولات التفتيش كان يجري توجيه العناصر إلى تطبيق مختلف القواعد الأمنية التي يتعلمونها، كأن يمشوا بهدوء على أطراف أصابعهم. مع التركيز على التزام جميع العناصر بالقواعد الأساسية الآتية: عدم الخوف، والطاعة التامة، والصدق في القول، وتنفيذ الأوامر بدقة. والإخلاص، والوفاء.[35]

كما كان هناك احتياج إلى إعداد عناصر هاشومير فكريًّا إلى جانب إعدادهم فنيًّا وجسديًّا. وقد أكد شوحط (Shochat) عددًا من المعاني الفكرية التي يجب تربية العناصر

عليها. من أهم تلك العناصر: تعزيز الشعور بالمسؤولية، وتعميق روح العمل الجماعي، وتعليمهم أن الصهيوني «قادر على الحفاظ على كرامته بذريعة الدفاع، وإبعاد الخطر من خلال أقل الخسائر.»[36] وكانت فلسفة هاشومير قائمة على النسبة في توزيع الحرّاس مقابل العمّال في المستوطنة الواحدة، أي تقوم على نوعية الحراس مقابل عدد العمال.[37]

اهتمت هاشومير أيضًا بإعداد برامج تدريبية خاصة بالاندماج في المجتمع المحلي بحيث يرفع ذلك من مستوى القدرة على الأعمال الاستخباراتية. وبفضل برامج الاندماج في المجتمع أصبح عناصر المنظمة يُجيدون اللغة العربية باللهجة المستخدمة من قبل السكان المحليين. إلى جانب ذلك زادت معرفة عناصر المنظمة بالعادات والتقاليد المحلية في فلسطين إلى درجة أن ارتدى بعضهم الزي العربي والشركسي.[38]

من أجل تدريب العناصر بكفاءة عالية لزم أن توفّر هاشومير تسليحًا مناسبًا وكافيًا لمهام المنظمة المختلفة. في البداية استخدمت المنظمة بنادق الصيد، ثم تمكّنت من الحصول على السلاح اليوناني ذي الطلقة الواحدة. فيما تحسّن مستوى تسليح المنظمة عندما استطاعت توفير البندقية العثمانية.[39]

كما امتلكت المنظمة بعض المسدسات البدائية، ومع مرور الوقت حصلت على نوعيات جيدة مثل: هانغو (Hango) و مسدس براوننج (Browning pistol) وماوزر(Mauser). ومع ذلك اضطرت هاشومير للجوء إلى تصنيع بعض متعلقات السلاح بسبب غلاء أسعار السلاح. حيث قامت المنظمة بإعادة تصنيع طلقات بندقية الصيد بمادة بودرة الحريق وإدخالها في الطلقة مرة ثانية.[40]

2- إستراتيجية بناء منظومة عمل أمني واستخباري:

تطلّب نجاح منظمة هاشومير في أنشطة الحراسة والحماية اتّباع إستراتيجية تمكنها من امتلاك منظومة عمل أمني استخباري ولو في درجة جمع المعلومات في المستوى أساسي. لذلك كُلِّف بعضٌ من أعضاء المنظمة بجمع المعلومات عن القرى المحلية الفلسطينية بل كُلِّفوا في بعض الأحيان بعمليات استخباراتية خاصة[41] ومن أجل النجاح في العمل الاستخباري وبخاصة العمل المرتبط بجمع المعلومات- التزم عناصر هاشومير بدرجة عالية من السرية انعكست على مختلف مستويات العمل في المنظمة.[42]

كما وجهت المنظمة عناصرها إلى الاختلاط جيدًا بالسكان المحليين، بل وإقامة علاقات صداقة مع عدد منهم. عبّأت هاشومير عناصرها في مسألة الانخراط بالسكان المحليين وفقًا لقاعدة «اعرف عدوك». نجح عناصر المنظمة في الانخراط بالمجتمع المحلي إلى درجة تلقت فيها قيادة هاشومير اتهامات بمبالغة عناصرها في تنفيذ الأوامر.[43]

لم تقتصر مهمّة جمع المعلومات على الاختلاط بالسكان المحليين بل اضطرت هاشومير في بعض الحالات إلى القيام بعمليات أمنية من أجل الحصول على بعض المعلومات الدقيقة.[44] وبشكل عام كانت الحراسة بالنسبة لـهاشومير وسيلة أساسية من أجل تأدية أيّ أدوار أمنية أخرى قد يحتاجها النشاط الصهيوني في فلسطين. وقد ظهر من تجربة هاشومير في مستوطنتَي مسحة و إيلانية (Sejera) أن ممارسة مهام الحراسة؛ قد سهّلت من تنفيذ العديد من المهام الأمنية الأخرى.[45]

كما اقتنعت هاشومير مع الوقت أنه لا بدّ من توفير أمن المستوطنات على أساس جماهيري واسع عبر إشراك جميع المستوطنين في كل مستوطنة في تحمل مسؤولية الأمن. ورغم أن هذه الفكرة تُعَدّ بدائية إلا أن قيادة هاشومير قنعت بها بعد تجربة أكدت أهميتها. بل اتجهت المنظمة إلى ضرورة الاعتماد على قاعدة جماهيرية واسعة لتكون هي الحاضنة لأي أعمال أخرى قد يُحتاج إليها في أوقات لاحقة.[46]

وعمليًّا أسهم الجهد المعلوماتي الجيد في بناء القدرة العسكرية لمنظمة هاشومير، إذ سهل التفوق في المعلومات للمنظمة القيام بعمليات التسلح، وبخاصّة نقل السلاح من خارج فلسطين إلى داخلها. ومن الأمثلة على ذلك قيام المنظمة بإرسال فلايسر غيرشون (Flayyser Gershon) لتوفير السلاح من الخارج. كما كُلِّف مونيا شوحط (Munya Shochat) بالعمل على توفير الدعم المالي لشراء السلاح، بل إن مونيا عملت أيضًا على نقل السلاح مطبقةً إجراءات التمويه والتخفي التي دُرِّبت عليها، ومستخدمةً عربات عربية في بعض الأحيان.[47]

3- إستراتيجية الانتشار والسيطرة على أعمال الحراسة:

اهتمّت هاشومير بمدّ انتشارها إلى أكبر قدر ممكن من المستوطنات حتّى الصغيرة منها. حيث وفَّر انتشار عناصر المنظمة فرصة جيدة لهم من أجل اكتساب خبرات متنوعة. كما لوحظ أن بيئة المستوطنات الصغيرة في الجليل كانت أكثر ملائمة لتطوير مهارات الحراس؛ بسبب سهولة السيطرة عليها وضبطها. وكان من أهم المستوطنات: إيلانية، و مسحة، و يفنيئيل (Yavne'el). ولاحقًا استفاد الصهاينة من طبيعة العمل في المستوطنات الصغيرة، فعمّموا تجربة العمل بوصفه نمطًا من أنماط الاستيطان والحراسة.[48]

تبنت هاشومير إستراتيجية الانتشار منذ تأسيسها؛ سعيًا لبناء قاعدة أمنية لا تقتصر على أعمال الحراسة فقط بل تمتد لتكون قاعدة جماهيرية واسعة؛ لذلك حرصت المنظمة على تعزيز الوجود الصهيوني بشكل جيد في مختلف مناطق الاستيطان. كما اهتمّت

المنظمة بتحييد هجمات السكان المحليين، وسدّ الثغرات الضعيفة أمنيًّا التي كانت تنتج بسبب ضعف السيطرة والانتشار.[49]

سعت منظمة هاشومير إلى الاستحواذ على عمل الحراسة في الاستيطان لضمان تحقيق إستراتيجية الانتشار؛ فاتجهت للسيطرة على مختلف المهام الأمنية وتقليص الوجود العربي. فيما لم تقبل المنظمة بالحراسة في أيّ مستوطنة قبل موافقة مستوطنيها على تسليم أعمال الحراسة كافة. بالمقابل عارضت هاشومير خيارات الحراسة المشتركة، بل سعت إلى زيادة عدد العمال الصهاينة مقابل العرب. بجانب ذلك شددت المنظمة الرقابة على العمال العرب إلى درجة أنها منعت تحرك العرب في المستوطنة بعد انتهاء فترة العمل.[50]

اتّخذت منظمة هاشومير إجراءات صارمة لتقليص الوجود العربي داخل المستوطنات التي كانت تسيطر على الحراسة فيها. وكان من بين أهم تلك الإجراءات ما يأتي:

1- زيادة عدد العمال الصهاينة مقابل العرب.

2- تشديد الرقابة على كل عامل عربي يدخل المستوطنة.

3- منع تحرك أي عربي داخل المستوطنة عقب انتهاء فترة العمل الرسمي.[51]

4- إغلاق المزارع وإنهاء العمل فيها ليلًا.

5- حظر التحرك ليلًا حتى لأصحاب المزارع.

6- اختباء الحراس في المناطق المتوقّع حدوث تسلّل فيها.

7- مفاجأة المهاجمين من السكان المحليين والقبض عليهم.

8- تطوير صافرات وإشارات تحذير خاصة، وأحيانًا استخدام إطلاق النار.[52]

بالمقابل لم تغفل هاشومير عن طلب دعم المنظمة الصهيونية العالمية من أجل تحقيق مزيد من التوسع. فقد رُصِدت مراسلة في 5 حزيران 1913 وجّهها إسرائيل شوحط إلى المنظمة الصهيونية العالمية من أجل طلب المساعدة في إنشاء مستوطنتين زراعيتين في وسط يهودا والجليل. وبيَّنت هاشومير هدفها من إنشاء هاتين المستوطنتين، هو أن تقوما بتولي مسؤولية حراسة المستوطنات المحيطة بهما، إلى جانب الإسهام في بناء الاقتصاد الصهيوني[53]. نتج عن ذلك التواصل قيام مكتب أراضي «إسرائيل» التابع

للمنظمة الصهيونية العالمية بمنح هاشومير نحو 2000 دونم من أراضي قرية تل عدس الفلسطينية نهاية سنة 1913. ولاحقًا تمكنت هاشومير من تأسيس مستوطنة تل عدشيم «Tel Adashim» على الأراضي التي حصلت عليها.[54]

ثالثًا: إستراتيجيات هاشومير خلال مرحلة إدارة ظروف الحرب العالمية الأولى 1914–1916م:

استطاعت هاشومير إحراز تقدّم كبير في مجال الحراسة والأمن في الفترة التي سبقت اندلاع الحرب العالمية الأولى سنة 1914، بل تحولت لتكون منظمة دفاعية أشبه بالقُطرية في فلسطين.[55] ورفعت مقترحات إلى اللجنة التنفيذية للحركة الصهيونية، بشأن خطتها من أجل حماية الـ(يشوف)، وتنظيم حماية شاملة. كما ضمّنت هاشومير مقترحاتها بفكرة فرض «التجنيد الاحتياطي». بتدريب مجندين من الاحتياط؛ يُساندون المجندين الأساسيين في أوقات الخطر.[56]

بالمقابل عند اندلاع الحرب العالمية الأولى أولت القيادة العسكرية العثمانية مزيدًا من الاهتمام بفلسطين. فبالرغم من بُعد فلسطين عن مسرح العمليات القتالية مطلع الأمر،

إلا أنها كانت منطقة اهتمام دولي تتمركز فيها قنصليات العديد من الدول. كما مثلت فلسطين خط تماس محتمل مع الجيش البريطاني الذي كان مرابطًا في مصر. لذلك دفعت القوات العثمانية بتعزيزات عسكرية كبيرة إلى فلسطين؛ بهدف التحضير للسيطرة على قناة السويس ذات الأهمية الإستراتيجية الكبيرة.[57]

اضطرت هاشومير إلى القيام بتقييم طبيعة إستراتيجياتها بشكل مستمر بسبب سرعة المتغيرات التي خلقتها ظروف الحرب. وقد تدرجت هاشومير في رسم مسارات عملها استنادًا لمقدار وطبيعة المصالح المرجوة والمفاسد المتوخاة خلال كل مرحلة من مراحل الحرب.

1- إستراتيجية تجنّب الصِّدام مع السلطات المحلية العثمانية:

تعرّضت قيادة هاشومير لحالة من الإرباك بسبب الغموض الذي ساد بشأن حقيقة موقفها من الأطراف المتنازعة عقب اندلاع الحرب العالمية الأولى.[58] حيث حدث انقسام بين قادة الحركة الصهيونية بشأن الجهة التي ينبغي الوقوف إلى جانبها في الحرب، وهذا ما حدث أيضًا لدى قادة منظمة هاشومير، إذ رجَّح فريق في هاشومير الوقوف إلى جانب تركيا من أجل الحفاظ على الـ(يشوف) الصهيوني في فلسطيني. بينما رجَّح الفريق الآخر في المنظمة الوقوف إلى جانب إنكلترا وحلفائها من أجل استثمار فرصة الحرب في إنهاء الحكم العثماني لفلسطين.[59]

رأى الفريق القيادي الذي يميل إلى تركيا العثمانية في هاشومير أن أفضل إستراتيجية ممكن اتباعها للحفاظ على الاستيطان وتقوية عناصر المنظمة- تكمن في تجنب الصدام مع الدولة العثمانية، بل حتى من الممكن الذهاب إلى حد إظهار الانحياز لها؛ لذلك خرجت دعوات من هاشومير إلى اليهود كي يقبلوا الحصول على الجنسية العثمانية من أجل البقاء في فلسطين بشكل قانوني. فيما تعهدت قيادة هاشومير بمحاولة إقناع السلطات العثمانية لتسمح لهم بإقامة ميليشيات يهودية.[60]

شكلت هاشومير لجنة مسؤولة عن (العثمنة)، والتقت اللجنة مع حاكم القدس زكي بيك، وعرضت عليه إنشاء كتيبة يهودية يكون لها دور في الدفاع عن فلسطين. لم يرفض زكي بيك اقتراح اليهود، ولكنه أمر بتشكيل كتيبة من اليهود وأخرى من العرب.[61] فيما أقامت هاشومير لجنة أخرى خاصة للإشراف على تطوع اليهود وبخاصة الصهاينة في الجيش العثماني.[62] وكانت فرصة لمنظمة هاشومير أن تعمل في فلسطين تحت سلطة الحكومة العثمانية. وقد وجه شوحط دعوة عبر جريدة الوحدة التابعة لحزب عمال صهيون إلى عموم الشباب اليهودي من أجل التطوع في الجيش العثماني.[63]

كما تحرك شوحط نحو مستوى أعلى، حيث قدَّم اقتراحًا للقائدين العثمانيين أنور باشا وجمال باشا من أجل تجنيد مجموعة ولو 50 يهوديًّا في الجيش العثماني. تبعَ ذلك تجاوبِ السلطات العثمانية في دمشق مع اقتراح شوحط. وقد جرى تعيين شوحط ليكون مسؤولًا عن المجموعة اليهودية التي ستُشكَّل، وجرى إرساله إلى إحدى معسكرات التدريب العثمانية.[64] وأعقب ذلك بدء هاشومير تنظيم عملية تجنيد المطوعين للجيش العثماني.[65]

وجّهت هاشومير أفضل أعضائها للتطوع في المجموعة اليهودية بالجيش العثماني.[66] ورغم كل الجهود التي بذلتها المنظمة من أجل حثّ اليهود على التطوع في الجيش العثماني إلا أن أعداد المتطوعين كانت محدودة. حيث تطوع من مستوطنة فتاح تقفا (Petah Tikva) 15 يهوديًّا، ومن القدس ويافا 40 آخرون كان من بينهم بن تسفي وبن غوريون (Ben-Gurion)).[67] وكان معظم المتطوعين في المجموعة اليهودية من أعضاء منظمتي هاشومير و جدونيم (Gidonim).[68]

في المقابل كان لا يزال جزء من قيادات هاشومير لا يرى في العمل لمصلحة الجيش العثماني خلاصًا ليهود فلسطين. بل على العكس تمامًا، كان هذا الجزء من قيادة هاشومير يرى في العمل لمصلحة البريطانيين فرصة لخلق دولة صهيونية ما بعد الحرب. وقد وضح يوسف سيريت (Yosef Siryt) عضو هاشومير أن فلسفة المنظمة خلال الحرب يجب أن تتركز على: فكرة توزيع الإمكانيات بحسب الحاجة، والحفاظ على المستوطنات بأقل القوى البشرية إلى أن يتغير الوضع، وتخصيص قوة اليهود للشرطة المنتظر تشكيلها. إلى جانب ذلك عدّ قادة هاشومير الذين لم يقبلوا الانحياز للجيش العثماني أن على اليهود الذين يستطيعون الذهاب للجيش أن يتطوعوا فورًا في الجيش البريطاني.[69]

لم تطمئنّ السلطات العثمانية المحلية لمساعي العناصر والهيئات الصهيونية في فلسطين مطلع الحرب. وكانت السلطات العثمانية أكثر استياءً من التحركات الصهيونية ذات الطابع السري؛ وهذا جعلها تبدأ بحملة ملاحقة رسمية ضد الحركة الصهيونية وأدواتها المختلفة في فلسطين أواخر سنة 1914.[70]

وتزامن مع ذلك قيام الحكومة العثمانية بتغييرات في صفوف القيادة العسكرية العثمانية في الشام وفلسطين، حيث عُيِّن القائد حسن بيك حاكمًا عسكريًّا في يافا. كانت أولى القضايا التي ركزت عليها الإدارة العثمانية الجديدة ملاحقة الصهاينة، وتفتيش مستوطناتهم بحثًا عن السلاح وفرضًا لقواعد الأمن والانضباط[71].

كان من نتائج حملة الملاحقة العثمانية للصهاينة في فلسطين العثور على مخبأ سري للأسلحة. أثار العثور على مخبأ السلاح الصهيوني السلطات العثمانية ضد الصهاينة، وانعكس الغضب العثماني بشكل كبير على منظمة هاشومير،[72] ولاسيّما أنها كانت أكبر المنظمات الصهيونية وأكثرها تأثيرًا في تلك الفترة.

صعّدت السلطات العثمانية حملتها في مهاجمة بيوت قادة هاشومير، واعتقلت كلّ من عثرت عليه منهم، وكل من عثرت بحوزته على سلاح، وأغلقت الصحف الصهيونية.[73] وتبع تلك التطورات إصدار القائد العثماني جمال باشا قرارًا في ديسمبر 1914 بإبعاد الصهاينة المشتبه في تورطهم بأنشطة سرية أو مرتبطة بجمع السلاح- من فلسطين إلى مصر. وقد ركزت السلطات العثمانية على إبعاد الشخصيات الصهيونية البارزة، ومن بينهم قادة هاشومير، مثل: «إسحاق بن تسفي» و«دافيد بن غوريون» و«يهوشوا هانكين»، «إسرائيل شوحط».[74]

كما تبع قرار الإبعاد إصدار قرارات أخرى تحظر على أعضاء منظمة هاشومير حمل السلاح. ودفعت قرارات حظر السلاح العثمانية الإدارات الرسمية للمستوطنات اليهودية إلى العمل على جمع السلاح من ساكنيها وتسليمه للجيش العثماني.[75] وقد رفض أغلب أعضاء هاشومير تسليم سلاحهم للسلطات العثمانية، حتى إنهم لم يستجيبوا لإدارات الاستيطان اليهودي في هذا الخصوص.[76] في المقابل عدّت السلطات العثمانية رفض عناصر هاشومير تسليم السلاح دليلًا على محاولتهم التجهز من أجل مساعدة البريطانيين.[77]

في ضوء التطورات السابقة، أصدرت السلطات العثمانية قرارًا بمنع هاشومير من تشكيل منظمة إقليمية في فلسطين. وبفعل هذا القرار بقيت هاشومير منتشرة بالدرجة الأساسية في مناطق شمال فلسطين، تعمل عبر عدة مجموعات للحراسة المحلية داخل كل مستوطنة.[78]

2- إستراتيجية المحافظة على أعمال الحراسة:

أمام حجم المتغيرات المختلفة التي حدثت مطلع الحرب في فلسطين تجاه هاشومير تحديدًا؛ وجدت المنظمة نفسها مضطرة إلى إعادة النظر في كثير من إستراتيجيتها وآليات عملها[79]. ولاسيّما أن المنظمة تأثرت كثيرًا بالإجراءات العثمانية المُشدّدة، وتعرّضت مقدراتها لحجم كبير من الضرر[80]. حيث أصدرت السلطات العثمانية مطلع سنة 1915 قرارًا بمنع إقامة الجمعيات والتنظيمات. كما أُعلِن أن هاشومير خارجة عن القانون،

واتُّهِمَت بالسعي إلى إقامة مملكة يهودية. وجرى تشديد عمليات البحث عن سلاح هاشومير، إلى جانب اعتقال عدد من أفرادها، وإبعاد عدد آخر منهم.[81]

اتخذت قيادة هاشومير المزيد من الإجراءات التي تتعلق بالحفاظ على المنظمة وعلى أعضائها الذين لم ينكشف ارتباطهم بالأنشطة الصهيونية الخاصة. وعدّ قادة هاشومير أن أفضل طرق حماية الاستيطان الصهيوني إلى جانب تقليل الصدامات مع السلطات العثمانية المحلية- هو اتّباع إستراتيجية المحافظة على عمل الحراسة الذي يمثل أساس وجود المنظمة.[82]

وقد جاء إخفاق جمال باشا في حملة عبور قناة السويس في 2 شباط 1915 أمام القوات البريطانية حافزًا لـهاشومير من أجل الاستمرار بجُرأة أكبر في أعمال الحراسة وتطوير الأعمال الأمنية المرتبطة بها. بل قامت قيادة هاشومير بحثّ أعضائها على إعادة ترتيب الخطط الأمنية مستخدمةً الدعاية التي جرت إثارتها عقب المواجهات التي وقعت من الأرمن. حيث جرى تخويف اليهود بالتعرض لمصير مشابِه لمصرهم، وجرى توجيههم لضرورة الاستعداد لكل الخيارات.[83]

كما أن تزايد مخاطر الحرب دفعت المستوطنين للتطلع إلى دور هاشومير في حماية الاستيطان اليهودي والوجود الصهيوني في فلسطين، وهذا دفع هاشومير إلى إعادة تنظيم مجموعات الحراسة، وبخاصة في مناطق الشمال التي كانت زاخرة بالأحداث.[84] وقامت هاشومير بتشكيل مجموعات مسلحة صغيرة ثابتة في كل مستوطنة؛ عدّتها مجموعات «دفاعية». حرصت قيادة هاشومير على أن تتكون كل مجموعة من أبناء المستوطنة التي يعيشون فيها، ومعهم بعضٌ من أعضاء هاشومير القدماء بهدف تبادل الخبرة وضمان السيطرة على المجموعة.[85]

وسعيًا إلى فرض مزيد من السيطرة الأمنية قامت هاشومير بتحمّل مسؤولية تأمين الحقول المحيطة بالمستوطنات اليهودية التي كانت تعمل فيها إلى جانب عملها الاعتيادي في الحراسة. بالرغم من صعوبة مهمة تأمين الحقول بفعل مساحاتها الكبيرة إلا أن ذلك كان أمرًا مهمًّا للمحافظة على أمن الحراسة، وتفادي تسلل المهاجمين[86].

وبالرغم من الجهود الكبيرة التي بذلتها قيادة المنظمة للمحافظة على أعمال الحراسة إلا أن الظروف الميدانية لم تكن سهلة، ولم يتلقّ عناصرها الدعم المطلوب حتى من المستوطنين اليهود. خصوصًا أن عناصر هاشومير واجهوا ظروفًا مادية صعبة بسبب تخلف إدارة الاستيطان عن دفع أجور الحراسة.[87]

رابعًا: إستراتيجيات هاشومير خلال مرحلة مواجهة أزمات نهاية الحرب 1916–1918م:

اشتدت ظروف الحرب مطلع سنة 1916، ولم تكن الإجراءات التي اتّبعتها هاشومير منذ بداية الحرب قد حققت النتائج المطلوبة بعد. بل تراجع مستوى نشاط المنظمة عمومًا، ولم تُطرَح مبادرات جديدة. حتى إن مبادرة هاشومير في احتلال المراعي في مناطق شمال فلسطين أخفقت أيضًا.[88]

كما تراجعت في تلك الفترة شعبية هاشومير على المستويين الرسمي والشعبي، خصوصًا أن الـ(يشوف) الصهيوني عدّها حادت عن أهدافها الأولية، وعن مبادئ منظمة بار جيورا.[89] فيما بقيت منظمة هاشومير تعاني حالة تشتت بسبب غياب جزء مهم من قيادتها التي نفتها السلطات العثمانية. ولوحظ تأثير غياب قيادة هاشومير في تراجع نفوذ المنظمة وسيطرتها المركزية على الأعضاء.[90] وهذا دفع المنظمة إلى إعادة تقييم إستراتيجياتها السابقة، والمُضي بإستراتيجيات عمل أكثر تناسبًا مع تطورات ظروف الحرب التي خلقت العديد من الأزمات العامة والتحديات الميدانية.

1- إستراتيجية التوسع وتعزيز الأعمال الأمنية للمنظمة:

سعيًا لاستنهاض واقعها، عقدت هاشومير مؤتمرها الثامن في 29 أغسطس 1916م، بمستوطنة تل عدشيم. تبنّى المؤتمر توجهًا لتوسيع أعمال المنظمة من أجل مواجهة الأزمات التي تفاقمت بفعل امتداد سنوات الحرب. كما جرى تشجيع أعضاء هاشومير وعموم اليهود على الهجرة إلى مناطق الجليل شمال فلسطين.[91] شهد المؤتمر تفاعلًا كبيرًا بين أعضاء هاشومير، ورغم تبادل الاتهامات والنقاشات الحادة التي جرت، إلا أن الأعضاء وجدوا أنفسهم أكثر توحّدًا خلف مبادئ هاشومير.[92]

خرج مؤتمر هاشومير الثامن بمجموعة من القرارات الهادفة إلى تطوير أعمال المنظمة والمحافظة على دورها في حماية الـ(يشوف) وهذا أسهم في رسم ملامح إستراتيجية المنظمة خلال تلك الفترة. وقد جاءت أهم قرارات المؤتمر الثامن على النحو الآتي:

1- بناء أطر دفاعية جديدة في الاستيطان الصهيوني.

2- العودة إلى استلام الحراسة في مناطق الاستيطان الجنوبية.

3- العودة للمشاركة في أنشطة (يشوف).

4- إنشاء مجموعات دفاعية ثابتة في كل مستوطنة.

5- شراء السلاح وتخزينه بشكل سرّيّ.[93]

بمجرد انتهاء أعمال المؤتمر بدأ أعضاء هاشومير في تنفيذ قرارات المؤتمر من خلال تجنيد أعضاء جدد من المستوطنين، والعمل على تدريبهم. وقد رفع أعضاء هاشومير شعار: «التدريب مهمّ من أجل الدفاع في كل الظروف». كما أعاد أعضاء هاشومير الاتصال بمختلف المنظمات والمجموعات الصهيونية الموجودة في الميدان من أجل تعزيز الجهود المشتركة في حماية الاستيطان.[94]

طوَّرت المنظومة الأمنية لدى هاشومير قواعد أمنية للتطبيق في الجليل الأعلى وعموم المناطق التي جرى التوسع نحوها في تلك الفترة. كان أهمها: المبادرة بالعمل الأمني، وتطوير خطط الدفاع والهجوم، والتدرج في التغيير، والتوسع في احتلال الأرض وتجاوز مشكلة قلة عدد الصهاينة، ومشكلة ضعف وسائل الردع.[95]

بالمقابل تمكن جلعادي (Giladi) من الحصول على عقد رسمي من الجهاز المالي لمكتب «أرض إسرائيل» يسمح لـهاشومير بإقامة مستوطنة خاصة بأعضائها.[96] وهذا ما سهّل على أعضاء هاشومير تأسيس مستوطنة «كفار جلعادي» قرب منطقة المطلة التي أُنشِئت عليها مستوطنة مطولاه (Metula) في أقصى شمال فلسطين. وبإنشاء هذه المستوطنة وصل عدد المستوطنات اليهودية في فلسطين قبل إصدار وعد بلفور إلى 41 مستوطنة.[97]

بالمجمل كانت خطوات التوسع التي اتبعتها هاشومير وبخاصة في مناطق شمال فلسطين ناجحة رغم كل الصعوبات، بل إن قيادة هاشومير وجدت في أزمات الحرب التي انعكست على الاستيطان في مناطق الجليل الأعلى؛ فرصة للتركيز على تلك المناطق.[98]

2- إستراتيجية تهريب السلاح ومقاومة التفكك:

أدت أنشطة التوسع التي اتّبعتها هاشومير إلى تزايد الحاجة للحصول على السلاح؛ وبخاصة من أجل المجموعات الجديدة التي كان يجري تشكيلها، واكتشفت المنظمة أن السلاح أكثر وفرة في مناطق جنوب فلسطين، حيث كان بدو جنوب فلسطين يبيعون الأسلحة التي كانوا يسيطرون عليها من الجيش التركي والجيش البريطاني، مستغلين استمرار المواجهات التي كانت مشتعلة بين الجيشين على تلك الجبهة.[99]

قامت هاشومير بوضع مسألة الحصول على السلاح ضمن أولويات أنشطتها سنة 1917، ونظّمت آلية تهريب السلاح من مناطق جنوب فلسطين عبر عدة مراحل، حيث كلّفت هاشومير في المرحلة الأولى 14 عضوًا من عناصرها الفاعلين في الجنوب مع عناصر المجموعة الصهيونية اليافوية من أجل التواصل مع بائعي السلاح والمهربين. وفي المرحلة الثانية كان يجري تجميع السلاح في مستوطنة روحاما (Ruhama) المُقامة في منطقة النقب جنوب فلسطين، وفي المرحلة الثالثة كان يجري نقل السلاح إلى منطقة طبريا، ومن هناك يجري توزيعه وتخزينه في مستوطنات الجليل.[100]

استمرت ذروة عمليات جمع السلاح وتهريبه وتخزينه التي نظمتها هاشومير ما بين الجنوب والشمال نحو 5 شهور، تمكنت عناصر هاشومير خلال تلك الفترة من نقل عشرات البنادق والمسدسات إلى مخازن منظمتهم في الشمال. فيما تراجع مستوى عمليات التهريب عقب اكتشاف السلطات العثمانية أمر مستوطنة روحاما، حيث داهمت السلطات العثمانية مستوطنة روحاما في الجنوب، ومستوطنات الشمال التي كانت تسيطر عليها هاشومير.[101] وقد دفعت تلك الظروف السلطات العثمانية إلى تشديد الخناق على عناصر هاشومير.[102]

أدى كشف السلطات العثمانية نشاط منظمة نيلي (Nili) في أكتوبر 1917 إلى إثارة شكوكٍ أكبر حول طبيعة دور هاشومير، وجرت عدة اعتقالات في صفوف عناصرها[103]. وأخذًا للتدابير الميدانية اللازمة، أعلنت السلطات العثمانية عن منع عناصر الحراسة التابعين لمنظمة هاشومير من حمل السلاح. وأتبعت السلطات العثمانية ذلك بتكثيف عمليات البحث عن الأسلحة[104].

لم يمضِ الكثير من الوقت حتى تمكنت السلطات العثمانية من اعتقال القيادي الصهيوني يَوسف ليشانسكي (Yosef Lishansky)، واجباره على الاعتراف. حيث كشف ليشانسكي عن ارتباط عدد من أعضاء قيادة هاشومير بأعمال التجسس التي نفذتها منظمة نيلي الصهيونية لمصلحة بريطانيا. ترتب على ذلك إطلاق السلطات العثمانية حملة ملاحقة واسعة ضد عناصر هاشومير وعدّهم عناصر معادية.[105]

نجحت السلطات العثمانية في مطلع الحملة من اعتقال 12 عضو من هاشومير.[106] فيما تمكن جلعادي من الفرار إلى جبل الشيخ شمالي منطقة الجليل الأعلى. لكن جلعادي عاد بعد يومين وسلّم نفسه ومعه رفاقه إلى السلطات العثمانية مساء 27 أكتوبر 1917.[107]

في حين برزت تحديات داخلية جديدة أمام هاشومير عندما انكشف في نوفمبر 1917م تورط عدد من قادتها في اختفاء الأموال في فترة مطاردة عناصر نيلي، ودخلت في مواجهة مع اللجنة السياسية لـ(يشوف)، التي طالبت باستِرداد تلك الأموال؛ وهذا دفع هاشومير مضطرة للتسويغ بأنها أنفقت تلك الأموال على أُسَر المطاردين.[108] فيما أسهمت هاشومير في دعم الفيلق اليهودي، الذي انضمّ رسميًّا لصفوف الجيش البريطاني في قتال العثمانيين على جبهة فلسطين، حيث وجهت هاشومير عناصرها إلى الالتحاق بالكتيبة 40– رماة الملك.[109] وبالرغم ممّا تعرضت له هاشومير في فترة نهاية الحرب، إلا أنها حافظت على إجراءاتها السرية، وخلقت (بروباغندا) حول أعمالها.[110] كما اعتنت المنظمة باستمرار المهام الأمنية لعناصرها، وكثفت من مهام جمع المعلومات عن القرى والتجمعات المحلية، بل ووجهتهم لتنفيذ عمليات استخبارية خاصة[111].

بالمقابل استمرت حالة الجدل حول قضية اختفاء الأموال، وأضرّت بسمعة هاشومير في عموم المستوطنات الصهيونية، كما انعكست آثار قضية اختفاء الأموال على التعاملات المالية الأخرى للمنظمة، ولاحقًا تسببت في خلق مشكلات وتحديات مختلفة.[112] وقد دفعت تلك الأوضاع إلى وضع المنظمة موضع البحث على طاولة قيادة الاستيطان، وفُتِح نقاش كبير حول فلسفتها، وجدوى استمرارها. فيما لم تحسم قيادة الاستيطان موقفها من هاشومير إلا بعد فترة من انتهاء الحرب. حيث جرى الاتفاق سنة 1920م على حل منظمة هاشومير لمصلحة انضمام أعضائها إلى منظمة هاجاناه (Haganah)[113].

الخاتمة:

برزت فكرة تأسيس منظمة هاشومير سنة 1909 انطلاقًا من تزايد الاحتياجات المتعلقة بمجالَي الأمن والحراسة للمستوطنات اليهودية في فلسطين، حيث استثمر مجموعةٌ من الشباب الصهيوني الصاعد حاجة المستوطنات اليهودية للحماية من أجل إطلاق منظمة حراسة علنية يُمكن الاستفادة منها في أهداف سرّية مختلفة. وقد سهل مهمّةَ الصهاينة في إنشاء المنظمة وصولُ أفراد موجة الهجرة اليهودية الثانية (1904–1914) إذ كانت لديهم الخبرة والحماسة الكافية للنهوض بهذا العمل.

بذل الصهاينة جهودًا كبيرة في سبيل السيطرة على مجالَي العمل والحراسة المؤثرين في الاستيطان اليهودي. كان ملف الحراسة هو الأكثر حساسية والأكبر أولوية لدى الصهاينة؛ لذلك جرى تخصيص منظمة هاشومير للاستحواذ على هذا المجال. وقد نجحت هاشومير في انتزاع الشرعية بوصفها منظمة حراسة قُطْرية من قيادة الـ(يشوف)؛ وهذا الأمر أكسبها وجودًا شبه قانوني أمام السلطات العثمانية المحلية في فلسطين.

استطاع الصهاينة بفضل جهود هاشومير ونجاحها في خلق إستراتيجيات مرنة ومنسجمة مع الواقع وتطوراته المتسارعة- أن يستحوذوا على معظم أعمال الحراسة بالمستوطنات اليهودية بفلسطين في أواخر الحكم العثماني، فضًلا عن نجاح هاشومير في تغيير نظرة المستوطنين اليهود تجاه الحراسة ونقل مستواها من كونها مهنة مأجورة إلى مهنة تخدم المصالح القومية اليهودية وتتسق مع أهداف المشروع الصهيوني الرامي إلى إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين. خصوصًا أن المنظمة تمكنت بفضل امتهان الحراسة من ممارسة أعمال سرية مختلفة تحت مظلة ذات غطاء شبه مسوَّغ أمام السلطات والمجتمع المحلي.

ارتبطت مُعظم إستراتيجيات منظمة هاشومير بمسارات عملية سرية، مثل عمليات التسلح أو جمع المعلومات أو التدريب العسكري؛ وهذا زاد من قيمة المكاسب التي خطط الصهاينة لانتزاعها من المنتصرين في نهاية الحرب، بل إن تراكم خبرة هاشومير وتنوع إستراتيجيات عملها حولتها بالنسبة إلى بقية المنظمات الصهيونية إلى واحدة من اثنتين؛ إما منظمة منافسة أو منظمة راعية وموجّهة. وبالرغم من كل ما قدّمته هاشومير إلا أن قيام الحركة الصهيونية بتفكيكها عقب وقت قصير من احتلال الصهاينة لفلسطين يُدلّ على أنها لم تَعْدُ عن كونها أداة مرحلية لخدمة المصالح الصهيونية.

الهوامش والمراجع:

1. Mim Kemal Öke, Siyonizm ve Filistin Sorunu (1880-1923), 2. Bs (İstanbul: Kırmızı Kedi, 2013), 19, 28.
2. Necmettin Alkan, Nili; Ortadoğu'da Casuslar Savaşı (Türkiye: Kronik Kitap, 2017), 25.
3. J. A. R. Marriott, "The Eastern Question an Historical Study in European Diplomacy" (Oxford University Press, 1917), 3.
4. Ann William, Britain and France in the Middle East and North Africa (London: Macmillam pub Ltd, 1968), 42.
5. Vahdettin Engin, Pazarlık, 14. Bs (İstanbul: Yeditepe Yayınevi, 2010), 61-62; Necib Al-Akiki, Al-Mustaşrikoun (الكيكي، المستشرقون) (Kahire: Dar Al-Maarif, 1965), 2: 2: 572.
6. Hinri Lavrense, Al-Mamlakah Al-Mustahylah: Faransa ve Takvin al-Aalam (لورنس، المملكة المستحيلة), trc. Başir ALsubaeiu (ALkahira: Sina Lilnaşr, 1997), 201.
7. Siyonist Arşivi, İngiliz Konsolosluğu Evrakları, İbrani Üniversitesi - Yabancı Yahudileri gizleme dosyası. F/22/790 (Kudüs: İbrani Üniversitesi, İbrani Arşivi, 1910).
8. Yitzhak Ben-Zvi, Erets Yisrael Vayysova Bimey Hashilton Hotmani (Tel Aviv: Hotseta Mtklu, Sfaryayt Yra Yitzhak Ben-Zvi), 409; Hasaan Halaak, Mavkif al- Davla al- Osmaniat min al- Harakat al- Sohyunia 1897-1909 (حلاق، موقف الدولة العثمانية). Bs (Beyrut: Dar al-Nahdat al-Arabiya, 1999), 2, 42.
9. Siyonist Arşivi, İngiliz Konsolosluğu Evrakları, İbrani Üniversitesi - Yabancı Yahudileri gizleme dosyası. F/22/790.
10. Mohammed Al-Hazmavy, Melkiyat Al-Arazi fi- Filistin 1918-1948 (الحزماوي، ملكية الأراضي) (Akka: Muasasat Al-Asvar, 1998), 76.
11. Uri Avnery, Dava Nazie al- Melkiya al- Estitan al- Yahudi ve al- Arab 1878-1948 (أفنيري، دعوى نزع الملكية-عبري), trc. Şarif Al- Barguti (Amman: Dar al- Jalil, 1986), 103.
12. Abdulvahaab Al-Meseri, "Mevsuat al-Yahud ve al-Yahudiya ve al-Sohuniya (المسيري، موسوعة اليهود)" (Bayrut: Dar Al-Şoruk, 1999), 2: 208.
13. Barukh Ben-Yhuda - Israel Shochat, Hamabek Lvytakhun Vlaatsmaut (Ramot Gan: İtonot Mtsid, 1974), 11-13.
14. Afrayim - Manahim, "Mujam Al-Mustalahat Al-Sohuniyah", 85; Ben-Yhuda - Shochat, Hamabek Lvytakhun Vlaatsmaut, 13-16.
15. Efrayim Dekel, Pilut Manganon Hmeyda (Hasoei); Miyomano Şel Manhig Manganon Hmeyda Şel Hahagana (ديكل، نشاطات جهاز المعلومات "هشاي"-عبري), 1. Bs (Tel Aviv: Hidpasta Davar, 1953), 5.

16. Al-Meseri, “Mevsuat al-Yahud”, 6/218.

17. Gershon Gera, Hashomer (Israel: Hotseta Msrid Habitakhon, Hahotsaa Lor, 1985), 23.

18. Yitzhak Ben-Zvi, Sefer Hashomer (Tel Aviv: Davar, 1962), 15.

19. Ben-Yhuda - Shochat, Hamabek Lvytakhun Vlaatsmaut, 23-24.

20. Leslie Stein, The Hope Fulfilled, The Rais of Modern Israel (London: Praeger Publishers, 2003), 108.

21. Yitzhak Ben-Zvi, Zikronot Vrshimot, Mehanurim Ad 1920, ed. Rakhel Ben-Zvi (Tel Aviv: Keren Yitzhak Ben-Zvi, t.y.), 105-107; Ben-Zvi, Sefer Hashomer, 451.

22. Uziel Lev - Avi Kuper, Bergyora Vhashomer, 1985. Bs (Israel: Garsaot Shel Msrid Habitakhon Hayisreli, t.y.), 39.

23. Eyliyeyn Yitskhak - Barukh Sriel, “Entsiklopedya Krata Tsiburit (إيزكس، موسوعة كارتا العامة - عبري)” (İsrael: Msrid habitakhon, keren krata, t.y.), 490.

24. Halpern - Reinharz, Zionism and The Creation of a New Society, 165.

25. Dan Gilad - Nakhor Murdkay, Erets Yisrael Bmea Haesrim, Miyashov Limdina 1900-1950 (جلعادي، ومردخاي، أرض إسرائيل في القرن العشرين - عبري) (Tel Aviv: Mshukhrar Msrid Habitakhon Hayisreli, 1990), 112.

26. Eliyahu Ben-Hour, Ytsia Mehagader, Sidrt Hzikronot Şel İsh Habitakhon (بن حور، الخروج من السياج - عبري) (Tel Aviv: Pirsumey Tsahal, Msrid Habitakhon, t.y.), 27.

27. Edelheit Abfaham, History of Zionism: A Handbook and Dictionary (Westview Press, t.y.), 69.

28. Ben-Zvi, Sefer Hashomer, 451.

29. Ali Mahani, Al-Ulakat Al-Sohuniyah Al-Biritaniyah fi Filistin 1918-1936 (مهاني، العلاقات الصهيونية البريطانية) (Yüksek Lisana Tezi, Islamic University, 2010), 17.

30. Lev - Kuper, Bergyora Vhashomer, 57.

31. Ben-Yhuda - Shochat, Hamabek Lvytakhun Vlaatsmaut, 26-27.

32. Afrayim - Manahim, “Mujam Al-Mustalahat Al-Sohuniyah”, 159.

33. Shlomo Shiva, Shevet Haamitsim (شيفا، قبيلة الشجعان - عبري) (Tel Aviv: Mehdorut sfaryayt hapoalim vhakaibuts haazury, 1978), 99.

34. Lev - Kuper, Bergyora Vhashomer, 87.

35. Abdüllhafiz Muharib, Hagana, Etsil, Lehi, al- Alakat bayin al- Tanzimat al- Sohyuniya al- Musallaha (محارب، العلاقات بين التنظيمات الصهيونية) (Bayrut: Meraz al-abhas, Munazamat al-tahrir al-falastiniya, 1981), 16.

36. Lev - Kuper, Bergyora Vhashomer, 90-91.

37. Shmuel Stembler, Hityayshvut Bidan Hmoderny, Darkam Shel Hatsiyunim Lifney Hamdina (Tel Aviv: Mshukhrar Msrid Habitakhon Hayisreli, 1983), 193.

38. Muharib, Hagana, 16.

39. Yosef, Yomenu Shel ish Hashomer, 70-71.

40. Gera, Hashomer, 53.

41. Efrayim Dekel, Pilut Manganon Hhasbara, Miyomano Shel Mifkd Manganon Hhasbara Shel Hahagana ((Tel Aviv: Hotseta Davar, 1953), 5141 ،.

42. Oz Almong, The Sabra, The Creation of the new Jew, trc. Haim Watzman (Berkeley: University of California press, 2000), 107.

43. Ben-Hour, Ytsia Mehagader, Sidrt Hzikronot Şel İsh Habitakhon, 29.

44. Lev - Kuper, Bergyora Vhashomer, 98.

45. Halil İnaljik, Tarihal-Davlat al-Osmaniya min al-Nuşu ilaa al-İnhidar (اينالجيك، تاريخ الدولة العثمانية), trc. Muhamad.m AL'arnavuvt, 1. Bs (Libya: Dar al-Madar al-İslami, 2002), 107.

46. Stembler, Hityayshvut Bidan Hmoderny, 110.

47. Gera, Hashomer, 137-138.

48. Afrayim - Manahim, "Mujam Al-Mustalahat Al-Sohuniyah", 154.

49. Hamdan Badir, Tarih al-Haganah fi Filistin 1920-1945 (بدر، تاريخ الهاغانا) (Bayrut: 1981, t.y.), 25.

50. Mansur, "Mujam Al-Mustalahat", 24.

51. Abd El Aziz Abu Eleyan, Tatavur Al- Achiza Al-Amniya Al-Sohyunia 1897-1948 (Yüksek Lisana Tezi, Islamic University, 2012), 26.

52. Shiva, Shevet Haamitsim, 114.

53. Nakdimon Rogel, Hayotsim El Erets Hatsafon: Reshitan Shel Kvutsot Hapoalim Betsba-Hagalil 1916-1920 (Tel Aviv: Meet Yitskhak Ben Tsvi, 1987), 7.

54. Al-Meseri, "Mevsuat al-Yahud", 7/140; Rogel, Hayotsim El Erets Hatsafon, 12.

55. Rafael Medoff - Chaim Waxman, The A to Z of Zionism (United Kingdom: The Scarecrow Press, 2009), 92.

56. Halpern - Reinharz, Zionism and The Creation of a New Society, 165; Ben-Yhuda - Shochat, Hamabek Lvytakhun Vlaatsmaut, 32.

57. Telmi Afrayim, Hagina Vaavoda, 70 Shnot Ysod Hamishmar (Merkaz Hitrabut Vhakhinuka, t.y.), 19; Gera, Hashomer, 89-90.

58. Şıptay Tipt, Ben-Gurion ve Al-Arap (تيبت، بن غوريون والعرب), trc. Gazi Al-Saadi, 1. Bs (Amman: Dar Al-Jalil lil Naşir, 1987), 39.

59. Eman Abu-Kadura, Al-Munazmat Al-Askariya ve Al-Amniya Al-Sohyuniya fi Filistin 1897-1920 (Yüksek Lisana Tezi, Islamic University, 2012), 209-210.

60. Gera, Hashomer, 89-90; Afrayim, Hagina Vaavoda, 19.

61. Mardkay Eliab, Al-Hamatsor Vhamtsuka Shel Erets Yisrael Bmilkhemet Haolam Harishona (إلياب، في الحصار والضائقة - عبري) (Kudüs: Meet Yitskhak Ben Tsvi, t.y.), 114.

62. Eliab, Al-Hamatsor Vhamtsuka Shel Erets Yisrael, 114; Yosef, Yomenu Shel ish Hashomer, 213.

63. Shiva, Shevet Haamitsim, 217; Yosef, Yomenu Shel ish Hashomer, 214.

64. Shiva, Shevet Haamitsim, 251.

65. Yosef, Yomenu Shel ish Hashomer, 213.

66. Shiva, Shevet Haamitsim, 212.

67. Yhoshua Ben Arye - Vaakherim, Entsiklopedya Shel Hatkufot Hagdolot Btoldot Erets Yisrael, Mdina Al Saf Khurban 1914-1918 (بن أريه، موسوعة الفترات الكبرى - عبري) (Garsaot Rvivim, 1980), 4: 110; Yosef, Yomenu Shel ish Hashomer, 213.

68. Shiva, Shevet Haamitsim, 217.

69. Gera, Hashomer, 125.

70. Avigur Shaul v.dğr., Toldot Hahagana (Tel Aviv: Pirsumey Hsifriya Hatsiyonit Vhatsava, Magazin Hamaarakhot, 1966), 1: 1: 396; Yosef, Yomenu Shel ish Hashomer, 214.

71. Shiva, Shevet Haamitsim, 217.

72. Abadi Jacob, Israel's Leadership: From Utopia to Crisis (United States: Greenwood Press, 1993), 37.

73. Yosef, Yomenu Shel ish Hashomer, 215; Manya Shohat, "Hashomer Berets, Osef Hashomer, Mismakiym Vyomanim Shenikhtvu Al Ydey Anshey Hamishmar Hakadumim", ed. Klanski Shlomo (Mehdorut Arkiyon Tnuat Haavoda, Tel Aviv, 1973), 53.

74. Jacob, Israel's Leadership, 37; Joan Comay, Who's Who in the Old Testament, Together with the Apocrypha (United States: Routledge, 1995), 340.

75. Shohat, "Hashomer Berets", 53.

76. Yosef, Yomenu Shel ish Hashomer, 215; Shaul v.dğr., Toldot Hahagana, 1: 1: 396.

77. Yitskhak - Sriel, "Entsiklopedya Krata Tsiburit", 490; Afrayim - Manahim, "Mujam Al-Mustalahat Al-Sohuniyah", 159.

78. Shaul v.dğr., Toldot Hahagana, 1: 1: 397.

79. Abu-Kadura, Al- Munazmat al- Askariya ve al- Amniya, 209.

80. Mardkay Naor, "Hahagira Hasnyya 1903-1914 (ناؤور: الهجرة الثانية - عبري)", Katav Et Ayydan, Pirsumey Merkaz Rakhel Ynit Ben Tsvi, Yrushalayim, 1985, 108.

81. Shohat, "Hashomer Berets", 53; Rakhel Yaneyt, Zikronot Hashomer, Sefer Hashomer, Zikronot khaverim: Yitzhak Ben-Zvi, Yisrael Shokhet, Matay Magd, Yohana Netberevski (Shikhruro Shel Mearkot, Vkaftor Hahagana, Udvir. Tel Aviv), 155.

82. Shaul v.dğr., Toldot Hahagana, 1: 396.

83. Eliab, Al-Hamatsor Vhamtsuka Shel Erets Yisrael, 118; Nahemiya Zelitser, Zikronot Hashomer, Sefer Hashomer, Zikronot khaverim: Yitzhak Ben-Zvi, Yisrael Shokhet, Matay Magd, Yohana Netberevski (Shikhruro Shel Mearkot, Vkaftor Hahagana, Udvir. Tel Aviv), 1: 406.

84. Shaul v.dğr., Toldot Hahagana, 1: 1: 397.

85. Shaul v.dğr., Toldot Hahagana, 1: 1: 406.

86. Muharib, Hagana, 25.

87. Rogel, Hayotsim El Erets Hatsafon, 15.

88. Eliab, Al-Hamatsor Vhamtsuka Shel Erets Yisrael, 118.

89. Shaul v.dğr., Toldot Hahagana, 1: 1: 403.

90. Gershon Shafir, Land, Labor, and the Origins of the Israeli-Palestinian Conflict, 1882-1914 (United States: University of California Press, 1996), 145.

91. Rogel, Hayotsim El Erets Hatsafon, 10-11.

92. Gera, Hashomer, 100.

93. Shiva, Shevet Haamitsim, 250; Eliab, Al-Hamatsor Vhamtsuka Shel Erets Yisrael, 118; Shaul v.dğr., Toldot Hahagana, 1: 1: 406.

94. Shaul v.dğr., Toldot Hahagana, 1: 1: 407.

95. Lev - Kuper, Bergyora Vhashomer, 54.

96. Rogel, Hayotsim El Erets Hatsafon, 29.

97. Jeryes, Tarih Al-Sohuniyah, 1: 292.

98. Rogel, Hayotsim El Erets Hatsafon, 19.

99. Shaul v.dğr., Toldot Hahagana, 1: 1: 407.

100. Shaul v.dğr., Toldot Hahagana, 1: 1: 412.

101. Shaul v.dğr., Toldot Hahagana, 1: 1: 413.

102. Ben Arye - Vaakherim, Entsiklopedya Shel Hatkufot Hagdolot, 4: 110.

103. Afrayim - Manahim, “Mujam Al-Mustalahat Al-Sohuniyah”, 159.

104. Khayrih Kasimih, Al-Naşat Al-Sohuni fi Al-Şark Al-Arabi ve Sadah 1908-1918 (قاسمية، النشاط الصهيوني) (Beyrut: Markaz Abhas Munzamat al-Ttahrir al-Filistiniya, 1973), 269-270.

105. Afrayim, Hagina Vaavoda, 20.

106. Eliab, Al-Hamatsor Vhamtsuka Shel Erets Yisrael, 120.

107. Rogel, Hayotsim El Erets Hatsafon, 72-73.

108. Naor, "Hahagira Hasnyya 1903-1914", 108.

109. Mahmud Abdulzahir, Al-Sohyuniya ve Siyaset Al-Unf, Ze'ev Jabotinsky ve Talamizoh fi Al-Siyasah Al-İsraeyliyah (عبد الظاهر، الصهيونية وسياسة العنف) (Kahire: Al-Hayaa Al-Masriya Al-Aama Lil Kitap, 1979), 100.

110. Almong, The Sabra, The Creation of the new Jew, 107.

111. Dekel, Pilut Manganon Hmeyda (Hasoei), 141.

112. Abu Eleyan, Tatavur al- Achiza, 22-23.

113. Medoff - Waxman, The A to Z of Zionism, 92.

أخبار العالم
من منظور تركي

اقرأ «ديلي صباح»
لتبقى على اطلاع على ما
يجري في تركيا
والعالم من تطورات

TURKUVAZ
MEDIA GROUP

DAILY SABAH

www.dailysabah.com
www.dailysabah.com/arabic